Mark Braham, **Jews Don't Hate - How a Jewish Newspaper Died,** (Nelson, London, 1970).

في صيف ١٩٦٨ اوقفت صحيفة يهودية تصدر في استراليا منذ تسعين عاما صدورهـا اثر ضجة قامت حول أحد معلقيها شبيهة بالضجة التي كانت قبل ذلك بعام أدت الى طرد جون كمشه من رئاسة تحرير الجويش اوبزرفر اللندنيـة . فان مـارك براهام كان قد تجرأ في كتاباته على توجيه النقد الى اسرائيل . الا ان دوافعه اختلفت عن دوافع كمشه . فاذا كان الاخير قد تورط في النزاع بين جناحي بن غوريون وايشكول ، فان براهام ارتكز في نقده على نقطة جوهرية تتعلق بفلسفة الحكم في الدولة الصهيونية . وبراهام هو يهودي بريطاني تخرج من جامعة كمبرج ، وخدم برتبة ضابط في القوات البريطانية ابان الحرب العالمية الثانية . ثم انجرف مع الموجة الدينية التي جرفت عـددا كبيرا من اليهود في الربع الاخير من هذا القرن نحو اليهودية الارثوذكسية ، فأصبح متدينا متزمتـا ينعي على اسرائيل ابتعادها عن الايمان اليهودي الحقيقـي . وفي احـد مقالاتـه المنشورة في « الاوستراليان جويش هيرالد » كتب يقـول ما معناه ان اليهودي الذي يصبح جنديا مظليا يحتاج الى شجاعة تقل عن شجاعة اليهودي الذي يختار ان يعيش حياة يهودية . هذه العبارة مست قدس الاقداس في اسرائيل ، واعتبرهـا الصهيونيون تجريحا للجندي الاسرائيلي فـي لحظة انتصـاره الاكبر . فقامت القيامة على براهام ، ولم يشفع له كونه صهيوني متحمس ، وابن رجل طالما قدم الخدمات الجليلة للحركة الصهيونية ، ولا انه يتبرع بالمكافئات التي يحصل عليها مقابل مقالاته ، لاسرائيل ، ولا انه ارسل ابنه ليعمل في كيبوتز . كل ذلك لم يخلصه من غضب اسرائيل ، فاتهم بأنه عميل للعرب ، وقدم ممثلون رسميون من الدولة الصهيونيـة الى استراليا للاشراف على حملة المقاطعة ضده ، فاقفلت الصحيفة التي كان يكتب بها ، وخيمت مؤامرة الصمت المعتادة التي يتقن الصهيونيون نسجها ، فوق آرائه .

ان الكتاب موضوع هذه المراجعة هو محاولة من براهام لتفسير وتبرير موقفه ، لا سيما بعد ان رفضت الصحف اليهودية في استراليا وبريطانيا ان تنشر دفاعـه عن نفسه . والكتاب يهم القارىء العربي لسببين : أولهما انه يبين الطرق التي تلجأ اليها اسرائيل في خنق اي رأي يهودي لا يتفق مع سياستها . والثاني ، انه يعبر عن اجتهاد أقلية يهوديـة في العالم تناهض اسرائيل بسبب ابتعادها عن الدين اليهودي . ان براهـام لا يتعاطف مع المجلس الاميركي لليهودية الذي يمثله (او بالاحرى كان يمثله) رجال مثل المحامي المر بيرغر والفرد ليلينثال ، باعتبار ان هـذا المجلس يمثل اليهوديـة الاصلاحيـة ، وليس اليهودية التقليدية المتزمتة التي يعتنقها براهام . كما ان براهام لا يؤيد مناهضة بيرغر للصهيونية . اما بالنسبة ، لموشي مينوحين ، فان براهام يعرب عن احترامه لاجتهاد هذا المفكر اليهودي ولاخلاصه للحقيقة كما هو يراها ، الا انـه لا يتفق مـع استنتاجاته ، بل يعتبرها مفتقرة الى التوازن . ان الفئة التي ينتمي اليها المؤلف هي ناتوراي كارتا (حراس المدينة) المعارضـة لعلمانية الدولـة الصهيونية ، ولذا فان اهم فصل في الكتاب هو ذلك الذي يناقش فيه براهام آراء تيودور هيرتزل ، مؤسس الصهيونية الحديثة ، ذات الاتجاه المتباعد عن اليهودية كدين .

يقول براهام ان الدافع الرئيسي وراء صهيونية هيرتزل لم يكن الدين اليهودي بقدر ما كان تأثير الرومانتيكية الجرمانيـة الجارف على تفكيره . فالرجل عاش ومات وهو ليس يهوديا مؤمنا ، وان كان يتوخى زيارة المعبد في فترات انعقاد المؤتمرات الصهيونية ، وذلـك ليحوز على ثقـة اليهود المتدينين . كـان هيرتزل من أشـد المعجبين ببسـمارك ، وهدفه في الحياة ان يلعب في تاريخ اليهود الدور الذي لعبه مستشار بروسيا الحديدي في التاريخ الالماني الحديث . وطيلة حياته كانت امنيته ان ينتمي الى طبقة النبلاء البروسيين ، ولكن لما كانت يهوديته تمنعه من ذلك ، فقد سعى للتعويض عن هذه الامنية الخيالية بالعمل لتحقيق هدف من شأنـه ان يجعله ملك اليهـود غـير المتوج . ويقول براهام ان ابتعاد هيرتزل عن الدين اليهودي نجم عنه عذاب ضميري ادى الى تقصير حياته . ثم يستعرض بعض الجوانب من حياته التي تجاهلها كتاب سيرته ، فيؤكد على ان تربية امه له كانت المانية تماما ، حتى ان هيرتزل الشاب اخذ يقرض الشعر في تأليه الروح الجرمانية .